

الإسلام⁽¹⁶⁹⁾، وسار عليه الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ/644-656م) أيضاً، بينما كان أبو بكر وعلي يرون المساواة في العطاء⁽¹⁷⁰⁾، وكان عمر أول من سار على تنظيم الناس على ضوء قربهم للرسول ﷺ ومن سبق في دخول الإسلام، ومن خدم الإسلام وبعدها الحاجة⁽¹⁷¹⁾، إلا أن عمر بن الخطاب ندم على ذلك بتفضليه الناس حسب اللون أو العرق في سنيه الأخيرة وتمنى انه عمل " كما عمل رسول الله وأبو بكر"⁽¹⁷²⁾، بينما كان الأمويون يفضلون الناس في العطاء حسب ولائهم للبيت الأموي⁽¹⁷³⁾.

ومفردة الديوان هي كلمة فارسية تعني السجل أو الدفتر، وكانت هذه الكلمة عرفت بالديوان مجازاً وهو الموضع الذي يخزن فيه الديوان⁽¹⁷⁴⁾، وقد أخذ عمر بن الخطاب هذا الإجراء الإداري وهو الديوان من أحد مرابزة (قادة) الفرس⁽¹⁷⁵⁾ "ففظن عمر لذلك ودون الدواوين وفرض العطاء"⁽¹⁷⁶⁾، ونظمه بدقة طبقاً لمصالح الدولة وحسب ما اقتنع به، فأنشأ ديواناً للجند دون فيه أرزاقهم سنة 20هـ/640م، وديوان آخر هو ديوان الخراج، للتعرف على الأموال التي ترد إلى بيت المال، وسبل توزيع العطاء على كل مسلم⁽¹⁷⁷⁾، وأحياناً يستخدم الديوان لملاحق الخصوم، أو المذنبين وذويهم من خلال التعرف على اسمائهم من خلال الديوان⁽¹⁷⁸⁾، ويعني ذلك أن للديوان تحري

(169) ابن الطقطقي، الفخري، 84.

(170) الماوردي، الأحكام السلطانية، 238.

(171) فوزي وآخران، النظم الإسلامية، 79.

(172) اليعقوبي، تاريخ، 106/2.

(173) المعاينة، نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، 76.

(174) الفراء، الأحكام السلطانية، 199؛ حسن وآخر، النظم الإسلامية، 170.

(175) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، 16-17.

(176) ابن الطقطقي، الفخري، 83.

(177) الصالح، النظم الإسلامية، 312.

(178) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، 4/64؛ المعاينة، نشأة الدواوين وتطورها في

صدر الإسلام، 65.

عن النشاطات الأمنية والاستخباراتية من خلال متابعة الجرد الإحصائي، فضلاً عن مهامه المالية والإدارية في الدولة.

أ - الدواوين في العصر الأموي (41- 132هـ/ 661- 749م):

1. ديوان الخراج: ويعد أهمها، ويختص بتنظيم الخراج وجبايته وحل المشاكل التي تعتريه، وهو العصب المالي للدولة، وكتب باللغة اليونانية، وقام بذلك سرجون بن منصور الرومي، ولأهميته يطلق اسم الديوان عليه⁽¹⁷⁹⁾.

2. ديوان الجند: وهو سجل عمل في زمن الخليفة عمر بن الخطاب يحفظ فيه أسماء الجند وقبائلهم ورواتبهم سنة 20هـ/ 642م، وله مجلسان زمن العباسيين يختص الأول (مجلس التقرير) وينظر في رواتب الجند ووقت صرفها والمجلس الثاني (مجلس المقابلة)، ويتولى أمر متابعة السجلات وتدقيق الأسماء⁽¹⁸⁰⁾.

3. ديوان الخاتم: وكانت بدايته عندما أراد النبي ﷺ مخاطبة الروم قيل له: أنهم لا يقرأون كتاباً إلا إذا كان مختوماً " فاتخذ خاتماً من فضة... ونقش عليه محمد رسول الله " ⁽¹⁸¹⁾، ويعد هذا الديوان من كبار الدواوين، فإذا صدر توقيع من الخليفة بأمر ما جيء بالتوقيع لهذا الديوان وحفظت نسخة منه وشد بخيط وختم بالشمع من قبل صاحب الديوان⁽¹⁸²⁾، ويعود إنشائه لمعاوية بن أبي سفيان أثر تزوير في المبلغ المراد صرفه من قبل حاملها عمرو بن الزبير والمرسلة إلى عامله على العراق زياد بن أبيه، من مئة ألف إلى مئتي ألف، وقلد القاضي عبد الله

(179) الجهشياري، الوزراء والكتاب، 24، 32؛ الدوري، النظم الإسلامية، 169.

(180) اليعقوبي، تاريخ، 105/2؛ العلي وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، 114.

(181) البلاذري، فتوح البلدان، 447-448.

(182) العلي وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، 107.

بن محمد الحميري بمهامه، وفيه تحفظ نسخة من الأوامر وبعد أن تختم بالشمع النسخة الأصلية وترزم (183).

4. ديوان الرسائل: ويختص بتحرير الرسائل التي تحتوي على أوامر الخليفة في الدولة وكتبه للخارج، و"إن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تبدأ عنه وتنشأ منه" (184)، ووضح الفلقشندي (185) أنه "أول ديوان وضع في الإسلام؛ وذلك أن النبي ﷺ كان يكتب أمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة؛... ويكتبونه. وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام"، وهناك مختصين بكتابة الرسائل زمن الأمويين لكن الجهشياري (186) لم يشر إلى مفهوم الديوان إلا عندما ذكر عبد الملك بن مروان ذاكراً صاحب ديوان الرسائل مولاه أبو الزُعَيْرِعة في حوارٍ بينهما، وكتب في هذا الديوان كتاب من العرب ومن الموالي (187) فكانا أبو الزُعَيْرِعة مولى عبد الملك وروح بن زباع الجذامي من كتاب عبد الملك الذي وصف ابن زباع: بأنه "شامي الطاعة، عراقي الحظ، حجازي الفقه، فارسي الكتابة" (188).

5. ديوان البريد: وكان البريد معروفاً قبل الإسلام وفي زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) (189)، وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ البريد، وهو استخدام عدة خيول لعدة أماكن، فكلما وصل

(183) الجهشياري، الوزراء والكتاب، 24-25.

(184) الفلقشندي، صبح الأعشى، 1/124؛ الدوري، النظم الإسلامية، 170.

(185) صبح الأعشى، 1/91.

(186) الجهشياري، الوزراء والكتاب، 35؛ الدوري، النظم الإسلامية، 170.

(187) الموالي: وهم المسلمون غير العرب أي من الأحباش والروم والفرس وغيرهم، ينظر:

أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، 393.

(188) الجهشياري، الوزراء والكتاب، 35.

(189) أحمد، كتاب الدواوين، 101.

صاحب الخبر لموضع ما غير فرسه المتعبة بأخرى لتصل الرسالة بأسرع وقت، ومقدار مسافة البريد اثنا عشر ميلاً⁽¹⁹⁰⁾.

6. ديوان النفقات: وهذا الديوان له صلة وثيقة ببيت المال، وقد يكون ظهر في زمن سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م)، وكانت وظيفته النظر في النفقات التي تصرف على الجيش والأمور الإدارية والخدمات العامة⁽¹⁹¹⁾.

7. ديوان الصدقة: وكان مختصاً في قضايا الزكاة والصدقات وسبل توزيعها لمستحقيها، وفق أحكام الشريعة، وتم ذلك في عهد هشام بن عبد الملك⁽¹⁹²⁾.

8. ديوان المستغلات: وكان يدير ممتلكات الدولة غير المنقولة مثل المنشآت والدكاكين والمباني والضياع⁽¹⁹³⁾.

9. ديوان الطراز: تناول ابن خلدون⁽¹⁹⁴⁾ الحديث عن هذا الطراز وقال: "كان ملوك العجم قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك. ثم اعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب أسمائهم مع كلمات أخرى مجرى الفأل أو السجلات"، زمن الأمويين والعباسيين وعرفت الدور التي تنسج فيها أزياء الخلفاء بـ (دور الطراز)، ووقعت تحت إشراف ما عرف بـ (صاحب الطراز)، ويقع عليه مسؤولية الإشراف على الصناعات والآلات والنساجون وأجورهم ويفضل من الخاصة في أغلب الأحوال⁽¹⁹⁵⁾، وذكر الطراز في زمن

(190) ابن الطقطقي، الفخري، 106.

(191) فوزي وآخرون، النظم الإسلامية، 82.

(192) الجهشياري، الوزراء والكتاب، 49-50؛ فوزي وآخرون، النظم الإسلامية، 82.

(193) فوزي وآخرون، النظم الإسلامية، 82.

(194) المقدمة، 215.

(195) العلمي وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، 111.

هشام بن عبد الملك⁽¹⁹⁶⁾، ولكن الأرجح انه في عهد عبد الملك بن مروان خلال العمل بالتعريب⁽¹⁹⁷⁾.

ب - الدواوين في العصر العباسي (132-656هـ / 749-1258م):

ونظراً لتطورات الحياة والرغبة في تنظيم المستجدات في الأمور الإدارية، أنشأ العباسيين مزيداً من الدواوين، كان أبرزها:

1. ديوان المصادرات: وتولى هذا الديوان الأشخاص الذين صودرت أموالهم، وربما يؤكد كثرة من صودرت أموالهم في العصر العباسي، وأول من عمل به أبي جعفر المنصور⁽¹⁹⁸⁾، وتكتب القرارات بنسختين الأولى تحفظ في الديوان والأخرى للوزير⁽¹⁹⁹⁾، وقد يعود إنشاء هذا الديوان عائد الى المصادرات التي قام بها العباسيين منذ عهد أبو العباس السفاح والتي تم خلالها مصادرة أموال وضياع الأمويين⁽²⁰⁰⁾، ومن الطبيعي أن يرفد هذا الديوان بيت المال بالمال اللازم لسد نفقات الدولة الملحة لها فضلاً عن العقوبات التأديبية ضد المقصرين أو المتخصصين.

2. ديوان الأزمة: وعرف هذا الديوان في عهد الخليفة المهدي العباسي، ويتألف من دواوين عدة أو من دوائر صغيرة تقوم بمتابعة أعمال الدواوين الكبيرة، وحظي الجانب المالي الأهمية القصوى في التدقيق لهذه الدوائر وكان بمثابة ديوان محاسبة في وقتنا الراهن⁽²⁰¹⁾.

(196) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، 60.

(197) فوزي وآخران، النظم الإسلامية، 82.

(198) حسن وآخر، تاريخ الحضارة، 99.

(199) العلي وآخرون، تأريخ الحضارة العربية الإسلامية، 115.

(200) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 124.

(201) حسن وآخر، تاريخ الحضارة، 99.

3. ديوان المظالم، وتكون مهامه النظر في الشكاوى والظلمات لمعرفة مشاكل الرعية وما يقع عليها من حيف من ولاتهم، وأولى هذه المهام هي متابعة صعود الأسعار إذا تجاوز الحد المقرر، أو زج الناس بالسجن دون تدقيق في أصل مشاكلهم، فكانت هناك مصادرات للأموال دون وجه حق، وحرص الخليفة المهدي بمتابعة ذلك بمشاركة عدد من الفقهاء لغرض البت بالحكم الشرعي بالقضايا المطروحة⁽²⁰²⁾.
4. ديوان الجهبذة: وكانت وظيفته التأكد من وصول الأموال كاملة لبيت المال، وربما يكون متابعة الضامين للأراضي ومدى قسوتهم على الفلاحين في جباية الخراج، وعلى صاحب هذا الديوان إعداد بيان حسابي وافي شهري وسنوي بما يدخل ويخرج ويعرضه على بيت المال⁽²⁰³⁾.
5. ديوان الصوافي: أنشأ هذا الديوان في عهد الخليفة هارون الرشيد ويقتصر عمله على الإشراف على الأراضي التابعة لخزانة الدولة⁽²⁰⁴⁾.
6. ديوان الضياع: ويختص بالأراضي الواقعة ضمن ممتلكات الأسرة العباسية التي وصل تعدادها إلى ثلاثين ألف، في العراق وفي غيرها من باقي أراضي الدولة⁽²⁰⁵⁾.
7. ديوان الاستخراج: ويقوم بمتابعة شراء الفاحش من قبل رجال الدولة من عمال وولاة في أموالهم، وهل جاء بأثر الرشوة والمحسوبية⁽²⁰⁶⁾، وهي تشبه قانون "من أين لك هذا" في يومنا هذا.

(202) حسن وآخر، تاريخ الحضارة، 100.

(203) العلي وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، 115.

(204) حسن وآخر، تاريخ الحضارة، 100.

(205) م. ن، 100.

(206) م. ن، 100 - 101.